مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 4 السنة: 2020
ص: 430 - 442 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

السّرد بين الأدب الرّسمي والأدب الشّعبي–دراسة في المضامين–

Narration between Official and Folk Literature -Study of Contents –

د. سمير زياني *

ziani samir

المركز الجامعي مغنية، الجزائر

University Center Maghnia, Algeria

ziani13300@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/05/29	تاريخ النشر:2020/11/07

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الوقوف عند حضور السّرد في الأدبين الرّسمي والشّعبي، باعتبار أنّ السّرد مثّل الجانب المهمّ في إبداع البشر منذ مئات السّنين، وتجلّياته بارزة في الأجناس النّثرية سواء القديمة أو الحديثة، أو عند الأصناف المرتبطة بالأدب المركزي أو الأدب الهامشي.

كما رصدت هذه الدّراسة المضامين التي تناولها الأدبان، والّتي أفصحت عن وجود قواسم مشتركة، لعلّ أبرزها البعدين الاجتماعي والعجائبي، إلاّ أنّ موضوع التّاريخ يبقى من الميزات القليلة الّتي انفرد بها السّرد الرّسمي، وذلك للأهميّة الّتي صارت تمنح للتّاريخ، باعتباره يُشكّل مادة رئيسة للحكي عند الكثير من الرّوائيين.

الكلمات المفتاح : السّرد، الأدب الرّسمي، الأدب الشّعبي، دراسة، المضامين.

Abstract :

The research aims to identify the presence of narration in the official and popular literature, considering that narration has represented an important aspect of human creativity for hundreds of years, and its manifestations are prominent in prose races, whether ancient or modern, or among the categories associated with central literature or marginal literature.

This study also monitored the contents covered by literature, which revealed the existence of common denominators, perhaps the most prominent of which is the social and miraculous dimensions, but the subject of history remains one of the few features that the official narration is unique

* د.سمير زياني: ziani13300@yahoo.fr

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

to, due to the importance that has become given to history, as it constitutes a main material for the narration of many of the novelists.

Key words: Narration, Official literature, Popular literature, Study, Contents

مقدّمة:

لقد اجتهد الدّارسون والباحثون في الوقوف على الفروق الكثيرة الموجودة بين الأدب الرّسمي والأدب الشّعبي، وذلك راجع لعوامل ترتبط بالسّياق الاجتماعي والثّقافي واللّغوي الّذي يفرض سطوته على الإبداع، فيحيل أدبا إلى المركز، ويطرح آخر إلى الهامش، ذلك أنّ ارتباط الأدب الرّسمي بالسّلطة المركزية في أيّ منطقة من المناطق، واعتماده على لغة بجهازها التقعيدي المنضبط، ومعجم قاموسها الرّفيع، يجعله ينأى عن أدب شعبيّ يعبّر عن نبض الشّعب، ووجدان المجتمع بواسطة اللّغة العامية، ويتداول عن طريق الرّواية الشّفهية، على الرّغم من الوشائج الّتي تربطهما بالوظيفة الإنسانية والفنيّة المشتركة الّتي يضطّلعان بها في كلّ زمان ومكان.

ومع هذا الاختلاف والتّباين فإنّ السّرد يحضر بينهما مُكلّلا الإبداع بتقنياته، ومتوّجا المضامين بفنيّاته، فيأتي مُوحّدا بين الشّعبي والرّسمي، وقد يُخيّل إلينا أن فنون الثّاني ما هي إلا امتداد للأوّل، فقد برز السّرد في المدوّنة الإبداعية كأداة جامعة بين الأجناس النّثرية القديمة كالحكاية الشّعبية، والأسطورة، والخرافة والأجناس الحديثة نحو القصة والرّواية، وذلك ما رسّخته الدّراسات النّقدية المقاربة لهذه الفنون، والّتي أبانت عن الجوانب الموضوعية والفنيّة الّتي تميّز بها السّرد كفنّ قائم بذاته، وهو ما سيعكف على دراسته هذا البحث الموسوم بـ **السّرد بين الأدب الرّسمي والأدب الشّعبي–دراسة في المضامين–**

وتتمثّل **أهداف** هذا الموضوع في كونه يريد أن يسلط الضّوء على أوجه الاتّفاق والاختلاف بين الأدب الرّسمي، والأدب الشّعبي، من جانب مهمّ يتعلّق بالمضامين والموضوعات.

ويقتضي طبيعة الموضوع **مقاربة وصفيّة تحليلية** تتعقّب تجلّيات الاتّصال والانفصال في النصّ السّردي بين الأدب الشّعبي والأدب الرّسمي.

أوّلا: حضور السّرد في الأدبين الرّسمي والشّعبي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد احتلّ السّرد في الحياة الإبداعية الإنسانية مكانة عظيمة، وشكّل مظهرا مُهمّا من مظاهر التّعبير لدى الإنسان، ذلك أنّه نقله من مرحلة الصمت إلى مرحلة البوح المباح، الّذي يُحيل حياة الإنسان إلى كتاب مفتوح على الحياة بكلّ تفاصيلها وتمظهراتها، فعندما يتوتّر الواقع يأتي السّرد ليُدوّن اختراقاته عبر تشريح الواقع وفضح خطاباته المنمّقة، فإذا كان السّرد تمثيلا للواقع فإنّه ليس تمثيلا آليا بل له غاياته ودلالاته، وإذا كان الأدب مظهر من مظاهر تجلي الفكر، فإنّ السّرد فنّ من فنونه.

إنّ ما يهمّنا ونحن نقف على إشكالية مصطلح السّرد، وتقلّباته عند المترجمين والدّارسين هو التّأكيد على القول بأنّ "السّرد بوسائطه وأنواعه المتعدّدة هو إحدى طرائق نقل الأفكار والقيم، ووسيلة من وسائل دورانها فيما بين أفراد المجموعة واللّغويّة الواحدة وفيما بينهم وبين غيرهم، وأداة من أدوات صنع الرّأي العام"[1]، وقد عرّفه سعيد يقطين أنّه :"نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلا للتّداول، سواء كان هذا الفعل واقعيا أو تخييليا، وسواء تمّ التّداول شفاها أو كتابة"[2]، والسّرد هو "الكيفية الّتي تُروى بها القصّة عن طريق قناة الرّاوي، والمروي له، وما تخضع له من مؤثّرات بعضها مُتعلّق بالرّواي والمروي له، والبعض الآخر مُتعلّق بالقصّة ذاتها"[3]، وعلى الرّغم من حداثة المصطلح، فإنّ تجلّيات السّرد ماثلة في الأشكال النّثرية سواء القديمة أو الحديثة، أو عند تلك الأصناف المرتبطة بالأدب المركزي والّذي نعني به الأدب الرّسمي، أو الأدب الهامشي المرتبط أساسا بالأدب الشّعبي.

1- تجلّيات السّرد في الأدب الشّعبي وإشكالية المصطلح: إن الحديث عن الأدب الشّعبي في البداية يجرّنا للقول على أنّه أقدم من أخيه الأدب الرّسمي، ذلك أنّ الأدب الشعبي ارتبط بحياة البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ولم يضع لنفسه حدودا لا على مستوى اللّغة ولا على مستوى المضامين، فهو إبداع يقوله سواد الناس من رعاة وسقاة، وزراع، وصناع وغزاة، وصعاليك وصبيان، وشيوخ ورجال ونساء، و هو الّذي يصوّر الحياة بتفاصيلها ووقائعها، لا الأدب الرّسمي الخاص الذي تحكمه الأنظمة، والتقاليد، والأعراف الاجتماعية[4]، ومن هنا فقد مثّل السّرد الجانب المهمّ في إبداع البشر، فقد شكّل المؤسّسة الاجتماعية الأولى، الشعبية، والمجانية الّتي عرفتها الشّعوب والثّقافات والحضارات، وحُقّ لنا أن نردّد مع "بيير جانيه" إنّ أوّل من أنشأ الإنسانية هو السّرد، فالقصّة مثلا تعدّ أقدم شكل من أشكال المعرفة الإنسانية، حتى قبل وجود اللّغة، والحكي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفسه فطرة إنسانية تُلبي نزوعا إنسانيا يستحيل تجاهله، في كلّ العصور التّاريخية، والمراحل العمرية للإنسان، وفي كلّ الثّقافات والأجناس والحضارات الإنسانية، وفي كلّ الدّيانات السّماوية وغير السّماوية، فضلا عن رغبة دفينة في امتلاك العالم عن طريق الحكي، وإعادة تشكيله كما يحلم به الإنسان[5].

ولئن اتّفق النّقاد والباحثون على إطلاق مصطلح سرد على مجمل الأنماط النّثرية الممثّلة للأدب الشّعبي، فإنّهم وقفوا عاجزين عن التّوصل إلى تعريف جامع للبعض منها، حيث طُرحت وما تزال إشكالية المصطلح في القصّة الشّعبية، ذلك أنّهم استخدموا مصطلحات سردية شعبية مختلفة وهم يقصدون نوعا قصصيا شعبيا واحدا، وهو ما وقف عنده "مصطفى يعلى" في دراسته للقصص الشعبي المغربي، حيث أشار إلى الإرباك الحاصل في المصطلح انطلاقا من ملاحظاته الآتية:

– اختزل بعضهم دون مبرر، كل أنواع القصصية الشعبية في مصطلح واحد هو(**الحكاية الشعبية**) أو(**القصص الشعبي**)، مثلما نرى عند عز الدين إسماعيل.

– استعمل بعضهم الآخر مصطلحات (**الحكايات**)، و(**الحكاية الشعبية**) و(**القصص الشعبي**)، و(**القصص الشعبية**)، و(**القصة الشعبية**)، و(**الأساطير**)، و(**الأسطورة**)، و(**الخرافة**)...للدلالة على السرد الشعبي بكل أنواعه، التي ميزوها هي الأخرى بمصطلحات خاصة بها[6]، مثلما هو مُوضّح في هذا الجدول:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصطلحات	دلالتها
الحكاية الخرافية– الحكاية الخرافية– حكايات الجان الخارقة– حكايات السحر– الحكاية العجيبة– الخرافة– الحكاية الخرافية الشّعبية– حكاية العفاريت– الحكاية الفولكلورية	القصة الّتي تهيمن عليها عوالم عجائبية خارقة.
حكاية الواقع الاجتماعي– الحكاية الاجتماعية– حكايات الحياة اليومية– الأسطورة الاجتماعية– الحكاية الواقعية– القصص الشّعبي الواقعي– الحكاية الشّعبية.	النوع القصصي الشّعبي الّذي يقوم على مفارقات الحياة اليومية المعيشة المختلفة، بعيدا عن خوارق النوع السابق، والمتضمنة أبعادا أخلاقية وتعليمية.
القصص الخرافي– خرافات الحيوان– المثل الخرافي– القصص الحيواني– فابولات الحيوان– أساطير الأطفال.	النوع القصصي الشّعبي الّذي يشمل الحيوان وغيره من مظاهر الطبيعة التي تقوم بدور البطولة الرئيسة فيه، ويكون هذا النوع مشحونا بالعبر والمواعظ الأخلاقية
الحكاية المرحة– النادرة– الحكاية الهزلية– القصص الفكاهي.	الحكايات الشعبية القصيرة القائمة على الفكاهة والسخرية

ويبرز هذا الجدول درجة التخبّط الّذي ميّز الأدب الشّعبي في التّعامل مع المصطلحات الخاصة بأنماطه، وهذا يرجع بالأساس إلى اختلاف التّرجمات وتشعّبها، وتعدّد الثّقافات والمرجعيات الفكرية الّتي ينطلق منها كلّ ناقد، مما يدفع إلى ضرورة إيجاد أرضية يُوحّد من خلالها المصطلح، ويُتّفق بشأن دلالاته، وهو ما التفت إليه مصطفى يعلى، من خلال تبنيه لمصطلحات سردية أساسية، من شأنها أن تُحدّد نقطة انطلاق صلبة للدّراسات والأبحاث المقاربة للخطاب السّردي الشّعبي، على نحو ما هو موجود في الجدول الآتي[7]:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصطلح	دلالته
القصص الشعبي	جميع الأنواع السردية الشعبية بلا استثناء.
الحكاية العجيبة	النوع السردي الشعبي ذو العوالم العجائبية
الحكاية الشّعبية	النوع السردي الشعبي القائم على مفارقات الحياة اليومية، الواقعية، بأسلوب جاد، ولغاية أخلاقية
الحكاية الخرافية	النوع السردي الشعبي الدائر في عالم الطبيعة بأسلوب رمزي، ولغاية تعليمية.
الحكاية المرحة	النوع السردي الشعبي القائم على مفارقات الحياة الاجتماعية الواقعية، لكن بأسلوب مرح يسلي وينتقد.

ومن شأن هذه الدّقة في توصيف هذه الأنماط في إزالة اللّبس عن فوض المصطلح الخاص بالأدب الشعبي، وجعل القصص الشّعبي العنوان الأبرز للنّصوص السّردية الشّعبية على اختلاف المضامين والسّياقات.

2- السّرد في الأدب الرّسمي: إذا كان الأدب الشّعبي المرآة الّتي تعكس الصورة الحقيقية لحياة المجتمعات، وشكل من أشكال الإبداع الشّعبي المتعدّدة، فإنّ الأدب الرّسمي هو المعلوم المؤلّف، والفصيح اللّغة، والمدوّن، والمعبّر عن ذاتية الفرد قبل الجماعة، والرّائج عن طريق الكتابة والطّباعة والنّشر[8]، وهو الفنّ الّذي واكب المتغيّرات الحادثة في المشهد الإبداعي العالمي، والشّاهد على ظهور أنماط سردية جديدة قامت على قيم فنيّة متعدّدة، وأنساق ثقافية لامست طبيعة المجتمعات، ومن هنا فقد شكّل السّرد القاسم المشترك في الأجناس الأدبية النّثرية في الأدب الرّسمي، وهو ما تجلّى خاصة في فنون القصّة والرّواية، والسيرة الذاتية. من منطلق أن السّرد هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"عرض حدث أو سلسلة أحداث متتابعة، أو أخبار واقعية أو خيالية بواسطة اللغة وكل سرد يشترط حدثا وشخصيات تنشط ضمن زمان ومكان معينين، وبواسطة سارد ينقل كل ذلك إلى السامع أو القارئ"[9]، ونتيجة لذلك يمكن اعتبار فنّ الرّواية الشّكل الرّاقي والمتطوّر في العالم السّردي، ذلك أنّه جنس استطاع أن يستحوذ على اهتمام الدّارسين والنّقاد، وأن يمنح لنفسه أرضية منسجمة مع الضّوابط والآليات الّتي يتيحها علم السّرديات، بل يكاد مصطلح السّرد أن يكون بديلا للأنماط النّثرية الحديثة من قبيل القصة والأقصوصة والرّواية.

وإذا كانت دراسة الأدب الشّعبي قد أفرزت العديد من الإشكالات المتعلّقة بتوحيد المصطلح، باعتبار التداخل الكثيف الّذي يميّز أجناسه، وصعوبة إيجاد مفاهيم دقيقة تُفرّق بين فنونه، فإنّ سطوة السّرد كمصطلح شائع اليوم، ساهمت في تجاوز هذه الصّعوبات المصطلحية، والانتقال نحو الحديث عن البنيات الّتي تتوسّم بها أنماط الأدب بشقيه الرّسمي والشّعبي، وصار التّفريق بينهم يتمّ انطلاقا من اللّغة بوصفها كيانا أساسيا في العمليّة الإبداعية، وكذا المضامين الّتي تختصّ بكلّ إبداع، وهذا ما سنعالجه فيما يأتي.

ثانيا– مضامين السّرد في الأدبي الشّعبي:

بات من الضروري ونحن نحاول الوقوف على مضامين السّرد في الأدب الشّعبي أن نعتمد تقسيم الباحث مصطفى يعلى للسّرد الشّعبي، حيث اختزله في أربعة أنماط وهي: الحكاية الشّعبية، والحكاية العجيبة، والحكاية الخرافية، والحكاية المرحة، وهو إجراء على قدر عال من الأهميّة، يُجنّبنا إشكالية تنوع المصطلحات، وتداخل مفاهيمها، ويتيح لنا الكشف عن المضامين السّردية لهذه الأنواع.

1– في الحكاية الشّعبية: تعدّ الحكاية الشّعبية من الفنون الّتي واكبت وجود الإنسان، وتقلّباته في متاهات الحياة، فهي نتاج فكري أنتجته الشعوب عبر تاريخها الطويل، وأودعت بها قصصها، وما مرّ بها من أحداث، فهي تعطي وصفا لبعض الجوانب من الحياة الإنسانية، والأحداث التّاريخية المختلفة، فتعيد لذاكرة الأبناء صور آبائهم وأجدادهم، ومواقفهم وأعمالهم[10]، كما أنّها تقف عند حدود الحياة اليومية، والأمور الدنيوية العادية، وهو ما ينسجم مع تعريف أحمد رشدي صالح: "فنّ القول التّلقائي العريق، المتداول بالفعل، المتوارث جيلا بعد جيل، المرتبط بالعادات والتّقاليد"[11]، ويحيل هذا التّعريف على أنّ الحكاية الشّعبية تهتمّ بالمضامين الّتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلامس طبيعة المجتمع وواقعه، وهو ما أدى بعض الدّارسين إلى القول أنّ مضمون الحكاية الشّعبية ينحصر بشكل كبير ضمن تصوير الواقع الاجتماعي بكلّ تجلّياته، والأكيد أن هذه الحكايات "تكشف بصورة جلية عن الصراع الطبقي، وعلاقات الجماعات الشعبية بعضها ببعض"[12] ، فتبدأ بعرض المفارقات الاجتماعية التي يعيشها أفراد المجتمع، وتنتهي بانتصار الفقير النبيل على الغني الوضيع.

2- في الحكاية العجيبة: تعرّف الحكاية العجيبة بأنّها: "نوع من القصص الشّعبي مبني أساسا على ما هو عجيب ومدهش، لما يمتلئ به من بطولات فوق طبيعية مثيرة، وأحداث خارقة، وشخصيات غير مرئية، *وفضاءات* مؤسطرة غريبة، وأزمنة لا منطقية وما إلى ذلك، مما يثير العجب في النّفس، فلا قوام لهذا النّوع دون العوالم العجائبية الشيّقة"[13]، ويحيل هذا التّعرف إلى القول أنّ هذا النّوع الحكائي يرتبط في مضمونه بكلّ شيء مدهش وعجيب، يثيره البطل في أحداث قصّته، وهو الّذي تُمكّنه ممارساته الفريدة من نوعها، وارتباطه بالخوارق من التخلّص من خصومه، والفوز في النهاية، وقد عبر عن ذلك عبد الحميد بورايو الّذي استعار تعريفا مُحدّدا للحكاية وفق تطوّر شريطها السّردي من "فلاديمير بروب"، حيث يقول: "إنها خطاب قصصي يكشف في مستهله عن ضرر ما، أو إساءة لحقت بأحد الأفراد، أو عن رغبة الحصول على شيء ما. يخرج البطل من المنزل فيلتقي بالمانح الّذي يقدّم له الأداة أو المساعدة السّحرية، الّتي تسمح له بالحصول على الشيء المرغوب، و تأتي بعد ذلك مرحلة العودة، حيث يظهر الصّراع الثنائي بين البطل و خصومه الّذين يتابعونه، و يضعون في طريقه العقبات، و يتمكن من اجتيازها، و يؤدّي المهمّات الّتي تعرض عليه، و ينجح في جميع الاختبارات، و يصل إلى منزله، و يتمّ التعرف عليه، فيتجلّى في أحسن صورة، وفي الأخير يكافأ و يتزوّج، و يعتلي العرش"[14].

3- في الحكاية الخرافية: إنّما يطبع الحكاية الخرافية من حيث المضمون هو أنّها لامست قضيّة القيم والأخلاق في أحداثها، بغضّ النّظر عن الشّخوص الّتي تُحرّك هذه الأحداث، وهي في الغالب لا تنتمي لفئة البشر، حيث عُرّفت بأنّها:" عبارة عن نوع من أنواع القصص الشّعبي، وهي ذات عناصر محدّدة، فهي شديدة القصر في أغلب نماذجها، ويتّفق معظم دارسيها على أنّ بناءها بسيط، يتكوّن عادة من قسمين اثنين؛ تعرض في الأوّل الحادثة المجسّدة للمغزى، ويركّز في الثّاني على الموقف الأخلاقي الصّريح، كما أنّ أبطالها لا أسماء لهم، وهم قلة لا يتجاوزون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثلاثة في الغالب، ويتعلّق الأمر بالمعتدي والضحيّة والوسيط، وغالبا ما يكون من الحيوان أو النّبات أو الجماد، وتسقط عليهم بالضرورة الخصائص البشريّة، رغم احتفاظهم بالسّمات الطبيعية الأصلية، بل قد يكون البشر من أبطالها أيضا، كما أنها تتّكئ على الزمان والمكان، لكن بشكل مكثّف و مضغوط"[15].

ويشير هذا التّعريف إلى أنّ الحكاية الخرافية لا تهتمّ بالمضمون بالقدر الّذي تولي فيه أهميّة للبعد العجائبي سواء في الشّخوص الّتي تُحرّك الأحداث في القصّة، وهي عادة لا تنسجم والحقيقة، باعتبار أنّها من عوالم الحيوان أو النّبات، أو الأحداث في حدّ ذاتها والّتي تتميّز بالتّحوّلات الغريبة الخارجة عن المنطق، وبالزّخم الرّمزي الّذي تنضح به، والّذي يهدف في الأساس إلى قيم أخلاقية سامية من شأنها أن تُهذّب من نفس المتلقي.

4- في الحكاية المرحة: تقوم الحكاية المرحة على سرد مفارقات الحياة الاجتماعية الواقعية بأسلوب مرح يبعث على التسلية[16]، ويهتمّ بنقد التصرّفات والسّلوكات الّتي تصدر عن بعض أفراد المجتمع، ومن مميّزات الحكاية المرحة أنّها حكاية قصيرة، محدود الأحداث، تدور أحداثها غالبا حول الحياة اليومية، تقوم على المفارقات المضحكة النّاتجة عن الحيلة، أوالغباء، أو البلادة...ويعدّ شخوصها من البشر، وينقسمون إلى قسمين: أما القسم الأوّل فيتعلّق بالشّخصيات الإيجابية مثل الأذكياء والعقلاء، في حين يختصّ القسم الثّاني بالشّخصيات السّلبية مثل الأغبياء والجهلاء...[17]

أما إذا تحدّثنا عن مضمون الحكاية المرحة، فإنّ الأمر لا يختلف كثيرا عن أنماط الحكايات الأخرى، ذلك أنّه نمط سرديّ شعبي يجعل المجتمع بكافة أفراده هدفا له، ويرمي إلى تقويم السّلوك بمنهج سلبي، عكس حكايات الواقع الاجتماعي الّتي تتوسّل المنهج الإيجابي، فالحكاية المرحة تعالج مواضيع واقعية واجتماعية بطريقة فكاهية طريفة، ومن ثمّ فالنّقد الموجّه إلى المجتمع أشدّ وطأة لأنّه ينقده ويسخر منه في الوقت[18].

والملاحظ على المضامين الّتي يختصّ بها السّرد في الأدب الشّعبي جنوحها إلى تصوير المجتمع بكلّ تفاصيله وتجلّياته، مع اختلاف بارز في الطّريقة الّتي يتمّ التّعامل بها مع الأحداث والوقائع، وتباين في طبيعة الشّخوص الّتي تُحرّك هذه الأحداث، كما تتميّز غالبا بالبُعد الرّمزي الّذي يكون وقعه على النّفس أقوى من الخطاب السّطحي المباشر، ويُحيلنا المضمون الاجتماعي للنصّ السّردي الشّعبي إلى القول بأنّ المجتمع حاضن أساسي لهذا الإبداع، ذلك أنّه ما فتئ يُحقّق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انسجاما بين الطرائق المعروفة في السّرد، وبين حاجة الأفراد إلى التّعبير عن واقعهم وآمالهم، وطموحهم.

ثالثا– مضامين السّرد في الأدبي الرّسمي:

يختصر جلّ الدّارسين الفعل السّردي في الأدب الرّسمي في القصّة والرّواية، بل لا نغالي إذا قلنا أنّ الرّواية صارت الجنس الوحيد الّذي تؤثره الدّارسات النّقدية الموجّهة إلى النّصوص السّردية، ذلك أنها تُمثّل جانبا مُهمّا من ثقافة الشّعوب في وقتنا الحاضر، بفضل ما تطرحه من أفكار وتصوّرات، وما تثيره من إشكاليات فلسفية تنصرف إلى الوقوف عند عوالم الإنسان بكلّ تمظهراته، ومن هنا فقد تعدّدت المضامين الّتي تسوقها جنس الرّواية، والّتي تختلف اختلافا جذريا عما تطرحه الأنماط السّردية الشّعبية، وهي الّتي نُحدّها في ثلاثة موضوعات، وهي التّاريخ، والمجتمع، والعجائبية.

1– التّاريخ والرّواية: يعدّ موضوع التّاريخ من المواضيع المهمّة الّتي قام عليها السّرد في الأدب الرّسمي، ذلك أنّه خطاب سابق للعمل الأدبي، وباعتباره سردا تتحدّد مقروئيته من حيث هو انعكاس لأحداث وقعت في زمن مضى، ونقل لها على نحو موضوعي من جهة أخرى، فهاجس التّاريخ مستبد بالرّواية منذ طورها الأوّل، متمكّن منها، ولا غرابة أن نجد عددا من الدّارسين يعدّون الرّواية سليلة التّاريخ ووريثته[19]، ومن هنا فقد حفلت الكثير من الرّوايات في عصرنا الحديث بأخبار التّاريخ الّذي أصبح مادة دسمة امتزجت بالخيال فصيّرت العمل الأدبي إبداعا نشيطا، يستفزّ العقل البشري، ويدعوه إلى الغوص في غياهب الماضي من أجل قراءة جديدة ومتجدّدة لواقع البشر ومستقبلهم.

2– المجتمع والرّواية: إنّ موضوع أي نصّ سردي هو المجتمع، هذا الفضاء الّذي ينطلق منه الإبداع، ويعود إليه، فلا غرابة إذن أن تكون الرّواية في تعريف النّقاد والمختصين ذلك الشّكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع، مادتها إنسان في المجتمع، وأحداثها نتيجة لصراع الفرد ضدّ الآخرين في نفس المجتمع، إذ تُعبّر تعبيرا دقيقا وصادقا عن واقع الإنسان، وتكشف عن حقيقته حسب وجهة نظر الكاتب، ورؤيته الخاصة،بلغة نثرية منتقاة من اللّغة الّتي يستخدمها النّاس في المجتمع، والمعبّرة في الوقت نفسه عن خطاباتهم ولهجاتهم وأصواتهم[20].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد شغلت أزمات المجتمع المتعدّدة أقلام الرّوائيين، الّذين حاولوا إيجاد حلول بديلة لظواهر متعدّدة من قبيل الهجرة، ووضعية المرأة، وأزمة السّكن، وهي أمور فرضتها التغيّرات الجديدة الّتي عرفها المجتمع في العصر الحديث، وتغيّر جملة من القيم والأفكار لدى الأفراد، ومن هنا فقط نهض النصّ السّردي الروائي مثقلا بالمواقف والأحداث، ومُجسّدا الواقع في حركات الشّخوص وسكناتهم، وانتقل الإبداع من السّطحية الّتي تميّزت بها الكثير من الأعمال الشّعبية، إلى العمق في الطّرح وفق مقاربات فلسفية وأيديولوجية.

3- العجائبية والرّواية: يحدث وأن تكون العجائبية موضوعا للعمل السّردي الرّوائي، إذ يحمل الحكي باعتبار ذلك سمات وخصائص فكرية وفنيّة،"حيث يجمح الخيال الخلاّق مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتّاريخي والواقعي، ومخضعا كلّ ما في الوجود من الطّبيعي إلى الماورائي لقوّة واحدة فقط: هي قوّة الخيال المبدع المبتكر الّذي يجوب الوجود بإحساس مطلق، بالحريّة المطلقة"[21]، وقد شكّل البعد العجائبي في النصّ السّردي مغامرة جديدة في الإبداع، وهو ما جعله محلّ اهتمام الدّراسات الحديثة، على الرّغم من حضوره المبكّر في النّصوص التّراثية القديمة، وبروزه على الخصوص في الأدب الشّعبي الحافل بفضاءات خرافية وسحرية، تدعو إلى العجب والانبهار.

صحيح أن السّرد العجائبي يبني أشكاله على مضامين اجتماعية وسياسية وثقافية، لكنّه يعتبر عند بعض الدّارسين موضوع العمل السّردي ذاته، ذلك أنّه يغطي على الكثير من الأهداف والمقاصد الّتي يقوم عليها النصّ، ويختار لنفسه إثارة العجب وغير المعقول في شخوص العمل وأحداثه، متجاوزا بذلك كلّ الحدود والحواجز، حيث يختار الراوي من أجل ذلك من الأساليب العجيب والغريب، لينتقل إلى واقع سحري قد يجد فيه ذاته الّتي فقدها في عالمه الطّبيعي، وهو نفس المقصد الّذي انطلق منه الأدب الشّعبي في شقّه السّردي، وهذا ما يجعلنا نقرّ على أنّ العجائبية كموضوع في السّرد، لا تقتصر فقط على الحكاية العجيبة، بل أثبت حضورها في عالم الرّواية، حتى وإن تأخّرت في الظّهور.

خاتمة:

مما يستنتج من البحث أنّ إطلاق مصطلح السّرد عند الباحثين والدّارسين لم يبق حكرا على القصّة والرّواية، بل تجاوزه إلى مجمل الأنماط النّثرية المنتمية للأدب الشّعبي، ذلك أنّ السّرد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثّل الجانب المهمّ في إبداع البشر منذ مئات السّنين، فالقصّة الشّعبية مثلا تعدّ من أقدم أشكال المعرفة الإنسانية.

ثم إنّ نظرة بسيطة في المضامين والموضوعات بين السّرد في الأدب الشّعبي، والسّرد في الأدب الرّسمي تجعلنا نقف على العديد من القواسم المشتركة الّتي تجمع بينهما، أبرزها ذلك البُعد الاجتماعي الّذي تصدح بها أغلب الأجناس، كونها تُصوّر مواقف تلامس طبيعة البشر وواقعهم، رغم الاختلاف في طريقة العرض، كما أنّ البُعد العجائبي لم يبق مقتصرا على الأدب الشّعبي، بل اقتحم أسوار الأدب الرّسمي مُدعّما شعرية السّرد، إلاّ أنّنا نجد أنّ قضيّة التّاريخ كموضوع للعمل السّردي بقيت من الميزات القليلة الّتي انفرد بها السّرد الرّسمي، وذلك للأهميّة الّتي صارت تُعطى لهذا الجانب، باعتبار أنّ التّاريخ يُشكّل مادة رئيسة للحكي عند الكثير من الرّوائيين.

هوامش:

1 – بول ريكو، الوجود والزّمان في السّرد، ترجمة: سعيد الغنامي، المركز الثّقافي العربي(الدار البيضاء)، المغرب، د.ط، 1999،ص31.

2 – سعيد يقطين، السّرد العربي: مفاهيم وتجلّيات، دار رؤية للنّشر والتّوزيع (القاهرة)، مصر، د.ط، 2006، ص72.

3 – حميد لحمداني، بنية النصّ السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي (الدار البيضاء)، ط3، 2003، ص45.

4– ينظر، كامل مصطفي الشيبي، الأدب الشّعبي:مفهومه وخصائصه،تاريخ النّشر: 2015، تاريخ الاطّلاع: 2020/02/02، https://www.cia.gov/library/abbottabad-com

5 – ينظر، محمد رجب النّجار، التّراث القصصي في الأدب العربي: مقاربات سوسيو– سردية، ذات السّلاسل(الكويت)، ط1، 1995، ص4.

6 – ينظر، مصطفى يعلى، القصص الشّعبي بالمغرب (دراسة مورفولوجية)، المدارس (الدار البيضاء)، المغرب، ط1، 2001، ص33–35، وسمية فالق، بنية السّرد في القصص الشعبي بالأوراس، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، (باتنة، الجزائر)، سنة 2014م–2015م، ص31 وما بعدها.

7 – المرجع السابق، ص49–50.

8 – ينظر، أسامة خضراوي، الأدب الشّعبي: الماهية والموضوع، مجلّة الثّقافة الشّعبية،سلطنة عُمان، العدد30،2015، ص77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9 – سهام سديرة، بنية الزّمان والمكان في قصص الحديث النّبويّ الشّريف، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص 16-17.

10- ينظر، عايدة فؤاد النبلاوي، الحكايات الشّعبية العمانية ودلالتها الاجتماعية والثّقافية: دراسة أنثروبولوجية، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، عمان، جامعة السّلطان قابوس، المجلد3، العدد2، أوت 2016م،ص351-352.

11 – أحمد رشدي صالح، الفنون الشّعبية، القاهرة، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي(مصر)، د.ط، 1961.

12 – سليمة عيفاوي، القصة الشّعبية الجزائرية بين الملفوظ والتلفّظ السّردي، دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، (الجزائر، مسيلة)، 2018، ص53.

13 – أحمد زغب، الأدب الشّعبي الدّرس والتّطبيق، مطبعة سخري(الوادي)، الجزائر، ط2، 2012، ص51.

14 – عبد الحميد بورايو، الأدب الشّعبي الجزائري، دار القصبة للنّشر(الجزائر)، د.ط، 2017، ص144.

15 – مصطفى يعلى، القصص الشّعبي بالمغرب (دراسة مورفولوجية)، ص107-108.

16 – ينظر، المرجع نفسه، ص49.

17 – ينظر، أحمد زغب، الأدب الشّعبي الدّرس والتّطبيق، ص71.

18 – ينظر، مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التّراث، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر (الإسكندرية)، مصر، د.ط، 1999، ص140.

19 – ينظر، محمد القاضي، الرّواية والتّاريخ: دراسة في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنّشر (تونس)، ط1، 2008، ص19-17.

20 – ينظر، عبد الرّحيم محمد عبد الرّحيم، دراسات في الرّواية العربيّة، دار الحقيقة للإعلام الدّولي، (عمان)، الأردن، ط1، 1990، ص3.

21 – كمال أبو ديب، الأدب العجائبي والعمل الغرائبي في كتاب العظمة وفنّ السّرد العربي، دار الساقي بالاشتراك مع دار أوركس(لبنان)، ط1، 2007، ص8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com